مجلة الآداب
للدراسات اللغوية والأدبية

OPEN ACCESS
تاريخ الاستلام: 2023/01/06م
تاريخ القبول: 2023/02/11م

رد ابن التوأم على رسالة أبي العاص بن عبد الوهاب الثقفي
مقاربة حجاجية

د. عبير الحسين*
abeer163@hotmail.com

ملخص:

تهدف هذه الدراسة إلى تطبيق أحد مناهج المدرسة التداولية النقدية الحديثة وهو المنهج الحجاجي، على نص يعد من أهم النصوص التراثية القديمة التي كان الجاحظ أحد أهم مؤسسيها وهو رد ابن التوأم على رسالة أبي العاص بن عبد الوهاب الثقفي، في محاولة لقراءة نقدية تكشف عن الأساليب الحجاجية التي يوظفها المؤلف لإقناع القارئ برأيه، ودحض ما يخالفه في الخطاب التراثي، وقد قسمت الدراسة إلى مقدمة وتمهيد نظري يحاول ضبط مصطلح الحجاج، ثم القسم التطبيقي الذي يحاول تطبيق أدوات المنهج الحجاجي وتقنياته على النص قيد الدراسة، وتوصل البحث إلى أن أسلوب الحجاج في هذا النص -حسب تقسيم طه عبدالرحمن- من الحجاج التوجيهي؛ لأنه اهتم بالمخاطِب الذي سعى بكل طريقة حجاجية ممكنة إلى إثبات رأيه، ولم يراع تأثير ذلك على الطرف المقابل.

الكلمات المفتاحية: الحجاج، الخطاب، المنطق، العقل، الحجة، الإقناع.

* دكتوراه في الأدب والنقد - وزارة التعليم - المملكة العربية السعودية.

للاقتباس: الحسين، عبير، رد ابن التوأم على رسالة أبي العاص بن عبد الوهاب الثقفي - مقاربة حجاجية، مجلة الآداب للدراسات اللغوية والأدبية، كلية الآداب، جامعة ذمار، اليمن، مج5، ع1، 2023: 580-600.

© نُشر هذا البحث وفقًا لشروط الرخصة Attribution 4.0 International (CC BY 4.0)، التي تسمح بنسخ البحث وتوزيعه ونقله بأي شكل من الأشكال، كما تسمح بتكييف البحث أو تحويله أو الإضافة إليه لأي غرض كان، بما في ذلك الأغراض التجارية، شريطة نسبة العمل إلى صاحبه مع بيان أي تعديلات أُجريت عليه.

(EISSN): 2708-5783 ISSN: 2707-5508
https://doi.org/10.53286/arts.v5i1.1437

OPEN ACCESS
Received: 06-01-2023
Accepted: 11-02-2023

مجلة الآداب
للدراسات اللغوية والأدبية

Ibn al-Tawam's Response to the Letter of Abi al-Aas ibn Abd al-Wahhab al-Thaqafi : An Argumentative Approach

Dr. Abeer Al-Husein *

abeer163@hotmail.com

Abstract

The aim of this study is to apply the argumentative approach of the modern critical deliberative school to a text that is considered one of the most important ancient heritage texts, of which Al-Jahiz was a key founder. The text under study is the response of Ibn al-Tawam to the letter of Abi al-Aas bin Abd al-Wahhab al-Thaqafi. The goal is to critically analyze the argumentative methods used by the author to persuade the reader of his opinion and refute opposing views in traditional discourse. The study is divided into an introduction and theoretical preface which defines and adjusts the term "argument "،followed by the applied section that uses the tools and techniques of the argumentative approach to analyze the text .The research concludes that the argumentative style of this text ،according to the division of Taha Abd al-Rahman ،is considered directive argumentation ،as it focused on convincing the addressee to accept the author's opinion without considering the impact on the opposing party.

Keywords : Argument, Discourse, Logic, Reason, Persuasion.

*PhD in Literature and Criticism, Ministry of Education, Kingdom of Saudi Arabia.

Cite this article as: Al-Husein, Abeer, Ibn al-Tawam's Response to the Letter of Abi al-Aas ibn Abd al-Wahhab al-Thaqafi: An Argumentative Approach, Journal of Arts for linguistics & literary Studies, Faculty of Arts, Thamar University, Yemen, V 5, I 1, 2023: 580 -600.

© This material is published under the license of Attribution 4.0 International (CC BY 4.0), which allows the user to copy and redistribute the material in any medium or format. It also allows adapting, transforming or adding to the material for any purpose, even commercially, as long as such modifications are highlighted and the material is credited to its author.

المقدمة:

جاء اختيار نص (رد ابن التوأم على رسالة أبي العاص بن عبد الوهاب الثقفي) من كتاب البخلاء للجاحظ، لأن الجاحظ من أهم الكتاب في التراث النثري العربي القديم، ونصوصه تعد من أهم النصوص التراثية التي أسست للنثر العربي في نشأته الأولى بجانبيه الساخر والجاد، والتي تناولها النقد العربي القديم، وأثبت تميزها وقيمتها الكبيرة، بل أصبحت مدرسة إبداعية حاول كثيرٌ من المؤلفين تقليدها ومحاكاتها، ولم تنفك مقروئيتها إلى العصر الحديث الذي ظهرت فيه مناهج نقدية حديثة بأدواتها النقدية، وأسئلتها، وزوايا نظرها المختلفة للنصوص.

ثم إن الجاحظ قد مزج "في كتاباته أروع مزج بين علم الكلام والفلسفة والكتابة الأدبية، فأخرج هذا العلم من الجفاف، فلامست الصفة الكلامية في الجاحظ روحًا فنيةً قويةً حتى أصبح عَلَمًا في هذا الباب، فجاء أدبه على طرازٍ فريدٍ في نوعه، وطوع الأدب لأساليب وطرق المحاججة والمجادلة كما نلاحظ ذلك بجلاء في كتابه الشهير (البخلاء)"[1]، وكان يرى "أن موقف البخلاء موقفٌ شاذ عاندوا من خلاله الحس وخالفوا الأمم والتركيب الذي اتخذوه منهجًا لهم تركيب متضاد، ومزاجٍ يتنافى مع أبسط ما عرف عن الإنسانية بعامة والإنسان العربي بخاصة"[2]، لكن القارئ للوهلة الأولى يظن أن الجاحظ يدافع عن البخلاء، فكيف يمقت هذه الصفة ويدافع عنها في الوقت نفسه؟!

ولأن هذا النص يحتمل مقومات حجاجية في بنائه؛ فقد جعل تناوله بالمنهج الحجاجي ممكنًا، ويمكن أن يضيف قراءة جديدة تضيء جوانب جديدة فيه، وتكشف عن موقف الجاحظ وطريقته.

ولئن حاولت المناهج النقدية القديمة تحليل تلك النصوص، وبيان قيمتها، فإن هذه الدراسة تحاول تناول إشكالية صلاحية المناهج النقدية الحديثة لدراسة النصوص القديمة التي سبقت سياق ظهورها التاريخي، وتناقش كذلك استيعاب النص التراثي للمناهج النقدية الحديثة التي لا تزال تطمح لمزيد من الكشف والتناول، وتؤكد ريادة تلك النصوص القديمة، ووجاهة دراستها من جهة، ونجاعة هذه المناهج الحديثة، وصلاحيتها لكل العصور الأدبية من جهة أخرى، وقدرتها على الوصول إلى مناطق جديدة لم يسبق الوصول إليها.

ومن أجل الوصول إلى نتائج مرضية فقد انقسمت هذه الدراسة إلى مقدمة تبين الموضوع المدروس، وأهميته، وسبب اختياره، وما سيضيفه، وإشكالية البحث وأهدافه، ومدخل نظري يحاول

ضبط مصطلح الحجاج الذي اختارته منهجًا للدراسة، ثم القسم التطبيقي الذي يحاول تطبيق أدوات المنهج الحجاجي وتقنياته على نص الجاحظ الذي استدعى هذا المنهج دون غيره، للوصول إلى النتائج التي بينت طريقة الجاحظ في حجاجه، وما استعان به من أساليب حجاجيةٍ متنوعة، وأثرها في إقناع المخاطب الضمني الذي وجه الخطاب إليه، وموقفه من المعارض لأطروحاته وآرائه.

التمهيد: مفهوم الحجاج

الحجاج لغة: قال ابن منظور: "الحُجَّة: البرهان، وقيل الحجة: ما دوفع به الخصم، وقال الأزهري: الحجة: الوجه الذي يكون به الظفر عند الخصومة، وهو رجل محجاج أي جَدِل، والتحاج: التخاصم، وجمع الحجة: حجج وحجاج، وحاجه محاجةً أو حجاجًا: نازعه الحجة، وحجّه يحجه حجًا: غلبه على حجته [...] واحتجه بالشيء اتخذه حجة. قال الأزهري: إنما سميت حجة، لأنها تحج أو تقصد [...] والحجة: الدليل والبرهان"[3].

وقال ابن فارس في (مقاييس اللغة): "يقال: حاججت فلانا فحججته أي غلبته بالحجة، وذلك الظفر يكون عند الخصومة، والجمع حجج، والمصدر: الحجاج"[4].

ويرى باتريك شاردو: "إن وجهة النظر التي ينهض عليها هذا العلم ليست لغوية أو قلَّما تكون كذلك، فهي وجهة نظر تدمن درس الإنتاج القولي في عمقه وأعلاه، وذلك لمعرفة مقامات التواصل في شروطها، وتقبل الكلام الإقناعي في آلياته (فهم - تأويل - رد فعل)"[5].

لقد تعددت مصطلحات الحجاج التي "تحيل على مفاهيم تختلف بحسب الزاوية النظرية التي تحدد تلك المفاهيم، هكذا نجد مصطلحات من قبيل: (حجاج)، و(برهنة)، و(استدلال)، و(إقناع)، و(شرح)، و(استلزام)، و(تبرير)، و(دحض)... إلخ"[6]، وبالرغم من تعدد المصطلحات فإنه بالعودة إلى التعريف اللغوي يمكن أن نطمئن في هذا الجانب إلى مصطلح (الحجاج) الذي يعد الدكتور عبدالله صولة من أبرز من ترجمه واعتمده لمصطلح (Argumentation) الفرنسي في كتاب (الحجاج في القرآن)[7].

وللحجاج مترادفات كثيرة عند العرب، "فهناك من يستعمل (الحجاج) وهناك من يفضل (التَّحاجّ) وهناك من يفضل فك الإدغام (التحاجج)، ونجد من يستعمل (المحاجَّة) وهناك أيضا من يفك الإدغام فيقول (المحاججة) وغير ذلك من التعريفات الاشتقاقية فالحجاج لغة من حاجَّ،

وحاجته أحاجه حجاجًا ومحاجة حتى حججته أي غلبته بالحجج التي أدليت بها، وحاجَّه محاجَّة وحجاجا نازعه الحجة، والحجة الدليل والبرهان"[8].

فالحجاج في العربية إذن يعني الخصام وتبادل الحجج والبراهين بغرض الإقناع، وفي العصر الحديث اصطُلح على أنه: "ممارسة لفظية اجتماعية وعقلية، تهدف إلى تقديم نقد معقول حول مقبولية الموقف، بصياغة مجموعة تراكمية من القضايا التي تبرر الدعوى المعبر عنها في الموقف أو تدحضها"[9].

ويعرف باتريك شاردو الحجاج تعريفًا واضحًا فيقول: "الحجاج -مثل السرد- هو كل يساهم في بنائه شكل الانتظام الحجاجي، إن الحجاج هو حاصل نصي عن توليف بين مكونات ومختلفة تتعلق بمقام ذي هدف إقناعي"[10].

وهذه المكونات كما يراها أحد الباحثين المعاصرين ثلاثة مكونات كبرى هي: المكون السياقي، والمكون المنطقي، والمكون اللغوي، فالمكون السياقي هو المدخلات، أو الافتراضات أو الحجج، والمكون اللغوي هو المخرجات، بينما يتمثل المكون المنطقي متأسسًا على المكون السياقي ومتأثرًا بالمكون اللغوي[11].

وقد اهتمت البلاغة القديمة بأنواع الخطابات، وأنواع الحجج، وأشكال الجمهور، والطرق الاستدلالية، وحددت للخطيب نوع السلوك الخطابي الذي ينبغي أن يتبعه؛ مجاراة لطبيعة الحضور، ومحاربة للتلاعبات اللفظية والحجاج السيئ النية، مما جعل النموذج الحجاجي البلاغي التقليدي نموذجا مثاليًا ومعياريًا[12].

و"تضعنا البلاغة الحديثة كما تجسدت لدى بيرلمان وأمام مواجهة خطابية جدلية أحادية الوجهة، ترتبط بقضية أو أطروحة يستند فيها الخطيب على تقنياته الحجاجية ومكانته الاجتماعية ليعدل الموقف المتلقي أو يعززه"[13]، فهدف الخطاب ثابت تقريبا في البلاغة القديمة والحديثة؛ فهدفه الإقناع باستخدام الحجج وسرد البراهين العقلية والنقلية.

وإن بقي لنا القول: إنه ليس كل تواصل حجاج، فالحجاج هدفه الإقناع بوجهة نظر معينة، بينما التواصل يهدف إلى إعلام المخاطب وإثرائه كما يقول بيير أوليرون: "عن طريق الحجاج نحاول

أن ننقل عناصر معينة، غرضها خلق أو توكيد قناعات وترتيبات وذلك للتصرف في المواقف، بقصد الإقناع وليس ببساطة إثراء معارف المتلقي"[14].

وللحجاج تطبيقات مختلفة: قانونية وسياسية وسردية، لا تقوم على منطق غير شخصي، وإنما حجج عامة رمزية، ويعتمد على العديد من الاستراتيجيات منها استراتيجية الإثبات، واستراتيجية الدحض، واستراتيجية نعم ولكن، أو كما تسمى طريقة (العصفورة)، واستراتيجية استخدام الأيمان؛ أي القسم، وهناك أساليب مختلفة لإنجاز النظام الحجاجي تساهم كل منها بطريقة خاصة في بيان صحة رؤية المحاجج، "فمنها التي تنهض بذلك الاعتماد على قيمة الحجج وهي الأساليب الدلالية، وأخرى باستعمال مقولات اللسان لغاية إحداث ضروب من التأثير من خلال الخطاب وهي الأساليب القولية، وأخرى في النهاية تنهض بذلك من خلال تنظيم مجموع الحجاج عندما يسمح بذلك مقام التواصل وهي أساليب البناء"[15].

ويقسم طه عبدالرحمن الحجاج إلى ثلاثة أنواع: الحجاج التجريدي، والحجاج التوجيهي، والحجاج التقويمي، ويختلف كل نوع عن الآخر في الشكل والمضمون أو ردة فعل المتلقي؛ فالحجاج التجريدي يهتم بالشكل دون المضمون، وبذلك فإن المقصود به هو "الإتيان بالدليل على الدعوى على طريقة أهل البرهان"[16]، وبذلك يكون مجردًا من التداولية، والحجاج التوجيهي يهتم بالمخاطِب -بالكسر- دون الاهتمام بالمخاطَب -بالفتح- وردة فعله "فقد ينشغل المستدل بأقواله من حيث إلقائه لها، ولا ينشغل بنفس المقدار بتلقي المخاطَب لها، وردة فعله عليها، فتجده يولي أقصى عنايته إلى مقصوده، وأفعاله المصاحبة لأقواله الخاصة"[17].

أما الحجاج التقويمي فيهتم بالمخاطِب وخطابه، وأيضًا يهتم بردة فعل المخاطَب "فالمقصود بالحجاج التقويمي هو: إثبات الدعوى بالاستناد إلى قدرة المستدل على أن يجرد نفسه ذاتًا ثانيةً ينزلها منزلة المعترض على دعواه، فهاهنا لا يكتفي المستدل بالنظر في فعل إلقاء الحجة إلى المخاطب دون حدود ما يتوجب عليه من ضوابط، وما يقتضيه من شرائط، بل يتعدى ذلك بالنظر في فعل التلقي باعتباره هو نفسه أول متلقٍ لما يُلقي، فيبني أدلته أيضًا على مقتضى ما يتعين به المستدل له [...] ومستحضرًا مختلف الأجوبة عليها ومستكشفًا إمكانات تقبلها واقتناع المخاطَب بها"[18].

ويرى بعض الباحثين أن أساليب الخطاب الحجاجي تنقسم إلى:

أساليب دلالية: تعتمد على عدة مصادر لسوق الحجج ومن أهمها: مجال الحقيقة، (إن ذلك حق لأنه أصلي أو عملي)، ومجال الجمال (ذو قيمة لأنه جميل)، و(الأخلاق) فيجعل المحتج الأخلاق سببا لحجته، والمتعة واللذة (اشرب العصير عندما يكون الجو حارًا لأنه بارد)، والذرائعية نحو(ينبغي أن نتحرك بسرعة حتى يؤخذ العدو على حين غرة).

ثاني الأساليب هي الأساليب القولية: وهي التي يمارسها المتكلم في خطابه ومن أهمها: المفهوم (بيان أن المخاطب لم يفهم المفهوم المتكلم عنه)، والمقارنة (بما أنك صديق فرانسوا وفرانسوا صديقي، فأنت أصبحت صديقي)، والوصف القصصي، والاستشهاد بقول أو تجربة أو معرفة، والتراكم ويعني: عددا من الجمل لخدمة حجة واحدة، والإشكالية وتتمثل في وضع الخبر محل السؤال في الحث على الفعل(هل وضعت بطاريات في الراديو؟ وإلا فلن يشتغل)، أو اقتراح اختيار مثل(أندريه، هل يمكن أن تكون جاهزا للذهاب إلى مكسيكو كمرشد ثقافي؟ أسجلك بالقائمة)، أو التثبت من معرفة ما، وتعني الإشكالية في معرفاتهم ما يقولون أو يدعون له)[19].

ومن أبرز أعلام الحجاج "عالم المنطق شايم بيرلمان، والناقدان الأدبيان تزفيطان تودورف، وتيري إيجلتون، وعالم اللسانيات فان ديك"[20].

ولأن "التراث بالنسبة لكثير من الحداثيين العرب أمرٌ من شؤون الماضي، الماضي الذي يجب أن نحقق معه قطيعة معرفية، أليس هذا هو أبرز شروط الحداثة الغربية؟ بهذا وضعنا تراثنا البلاغي أمام (مرايا مصغرة) وما أفعله في الدراسة الحالية ليس أكثر من محاولة لإنصاف البلاغة العربية والعقل العربي"[21].

ولأنني أتفق مع هذا القول: بأن تراثنا الأدبي لا يزال ميدانا خصبا للمناهج النقدية الحديثة، وأن دراسته وفق معاييرها يزيده توهجا، ويعيد قراءته بطريقة جديدة تظهر قيمته الفنية العالمية، وقدرته على البقاء والتمدد والأصالة، وتنقله من رف المكتبة الغابر إلى دينامية الحراك النقدي الحديث ؛ فقد اخترت نصا من أبرز مصادر تراثنا الثقافي: وهو نص من بخلاء الجاحظ[22].

التطبيق: تطبيق الحجاج على نص من بخلاء الجاحظ

من رد ابن التوأم على رسالة أبي العاص بن عبد الوهاب الثقفي التي ذم فيها الثقفي البخل والبخلاء، وأثنى على الكرم وأهله، وذكر أسماء بعض البخلاء الذين يحاجُّون عنه بالقصد ويصفونه

بالإسراف، وذكر منهم ابن التوأم؛ فرد عليه بردٍ يحاجج فيه عن الاقتصاد -حسب رأيه- بأنماط مختلفة من الحجج التي يحاول من خلالها درء التهمة عن البخلاء، وإقناع المتلقي بوجاهة رأيهم وذلك في قوله:

"فإن قلنا فليس إليه نقصد، وإن احتججنا فلسنا عليه نرد، ولكنا إليك نقصد بالقول، وإليك نريد المشورة، وقد قالوا: " احفظ سرك، فإن سرك من دمك".

وسواء ذهابُ نفسِك وذهابُ ما به يكون قوامُ نفسك، قال المُنجَاب العنبري: "ليس بكبيرٍ ما أصلحه المال"، وفَقدُ الشيء الذي به تَصلُحُ الأمور أعظم من الأمور ولهذا قالوا في الإبل: "لو لم يكن فيها إلا أنها رَقُوءُ الدَّمِ"[23]، فالشيء الذي هو ثمن الإبل وغير الإبل أحق بالصون، وقد قضوا بأن حفظ المال أشد من جمعه، ولذلك قال الشاعر:

وحفظك مالًا قد عنيت بجمعه أشد من الجمع الذي أنت طالبه

ولذلك قال مشتري الأرض لبائعها، حين قال له البائع: "دفعتها إليك بطيئة الاجتماع، سريعة التفرق"، والدرهم هو القطب الذي تدور عليه رحا الدنيا، واعلم أن التخلص من نَزَوَان الدرهم[24]، وتَفَلُّتِه والتَحرُّز من سُكر الغني وتَقلُّبِه شديد، فلو كان إذا تَفلَّت كان حارسه صحيح العقل سليم الجوارح، لرَدَّه في عقاله ولشَدَّه بوثاقه، ولكنا وجدنا ضَعفَه عن ضبطه، بقدر قَلَقِه في يده، ولا تَغتَرَّ بقولهم: مالٌ صامتٌ، فإنه أَنطَقُ من كُلِّ خطيب، وأَنَمّ من كُلِّ نَمَّام، ولا تكترث بقولهم: هذين الحَجَرين، وتتوهم جمودهما، وسكونهما، وقِلَّة ظعنهما، وطول إقامتهما، فإن عملهما وهما ساكنان، ونَقضهما للطِّبَاع وهما ثابتان، أكثرُ من صنيع السُمِّ الناقِع والسَّبع العادي. فإن سَكَنَت لا تكتفي بصُنعِه حتى تَفقِدَه، ولا تحتال فيه حتى تحتال له، فالقبر خيرٌ لك من الفقر، والسجن خيرٌ لك من الذل"[25].

إن رد ابن التوأم في هذا النص أحادي الحوار، ذلك أن أبا العاص لا يضطلع بأي دور في عملية الحجاج، فلا هو بالند الذي يهدف ابن التوأم إلى هزيمته، وإثبات علو كعبه عليه في الإقناع والاحتجاج، ولا هو بالقضية التي يدور حولها الخلاف، ويعقد حولها الحجاج نفيًا أو إثباتًا، فهو حاضر بالقوة دون الفعل كطرف ثانٍ لاكتمال أركان الحجاج في هذا النص، لكنه مغيبٌ في الآن ذاته عن الرد والمقارعة بالحجج، وكأن ابن التوأم اتخذه جسرًا جامدًا للعبور إلى القناعة التي يتمثلها.

وفي تغييب ابن التوأم له، إظهار لتفرد ابن التوأم بالعقل وحسن التدبير من جهة، وتفرد حجته بالصحة من جهة ثانية، وجعل أبي العاص مجرد مقولة لا تملك من البراهين والحجج ما يخول لها الوقوف في موقف الضد المقارع في الموقف الحجاجي، وهو يحاول الرد على رسالة أبي العاص عن البخل بنقض احتجاجه، فابن التوأم يظهر هنا مع البخل وليس ضده فيما يخص موقف الفاعل في الحجاج.

وقد استخدم لهذا الرد أساليب حجاجيةٍ متنوعة يمكن تقسيمها إلى الآتي :

1- الأساليب الدلالية والقياس المنطقي: وهي تدخل ضمن ما يسمى بالوظيفة الإفهامية، فالمتكلم يستعمل الحيل التعبيرية دعامة لفكرته[26]، و"هو وسيلة منطقية من وسائل التعليق بين الأقوال؛ ففي القياس المنطقي يصبح أحد القولين مرتبطًا بالآخر عن طريق تعليقهما بقول ثالث، يمثل طبقةً من الموضوعات أو المفاهيم أعلى من القولين الآخرين. وهذه البنية قائمة على أهم معايير القياس الأرسطي: المقدمة المنطقية الكبرى، والمقدمة المنطقية الصغرى، والنتيجة. وعليه فالقياس المنطقي ينقل الذهن من التصور إلى التصديق"[27] وهذا من الأساليب التي وظفها ابن التوأم في حجاجه، فنجده استخدم الحقيقة في قوله:

(والدرهم هو القطب الذي تدور عليه رحا الدنيا، واعلم أن التخلص من نَزَوَان الدرهم، وتَفَلُّتِه والتَحرُّز من سُكر الغني وتَقلُّبِه شديد، فلو كان إذا تَفلَّت كان حارسه صحيح العقل سليم الجوارح، لرَدَّه في عقاله ولشَدَّه بوثاقه)، وهذا من الأساليب الدلالية التي يتوسل بها المحاجِج لإقناع المحاجَج وزحزحة قناعاته من خلال الحجة المنطقية، ويمكن تصوير القياس المنطقي في الشاهد السابق على النحو الآتي:

المقدمة المنطقية الكبرى: الدرهم هو القطب الذي تدور عليه رحا الدنيا.

المقدمة المنطقية الصغرى: إنفاق المال وإفلاته سكر الغني وتقلبه.

النتيجة: إنفاق المال والكرم به ضعف العقل والجوارح.

حيث جعل ابن التوأم الكرم إتلافًا لما عليه تدور رحا الدنيا، وإتلاف ما عليه تدور رحا الدنيا إتلاف للعقل والجوارح.

وأردف ابن التوأم هذا الأسلوب بأسلوب دلالي آخر هو مجال الأخلاق، فبيَّن أن تضييع الدراهم ليس من صفاته، وأنه مناف لأخلاقه بقوله:(فإن سكنت لا تكتفي بصنعه حتى تفقده، ولا تحتال فيه حتى تحتال له، فالقبر خير لك من الفقر والسجن خير لك من الذل)؛ وذلك لما للبعد الأخلاقي من دلالاتٍ تسوّغ لصاحب الموقف والرأي في القيمة المحاجَج عنها ما يتكئ عليه في مواجهة الطرف الآخر.

ثم يعمد المحاجُّ إلى الذرائعية(النفعية) من هذا المال ؛ لأنه يرى في هذه الذرائعية ما يقوي موقفه في صيانة المال والحفاظ عليه مما يجعل ذلك صفة حكمة ودهاء من جهة، ويدحض عنه صفة البخل الذميمة التي يرميه بها خصمه، ويحتج في ذلك بأن المال ينقذ من القتل، فإذا كانت الدراهم تجلب الإبل التي كانت تفتدى بها الرقاب في العهد القديم من القصاص، والمال يأتي بالإبل وغيرها من المطالب العزيزة التي يعسر امتلاكها بدون المال ؛ فإن حفظ هذه الدراهم من باب أولى أشد أهميةً من حفظ الدماء والإبل في قوله: "فالشيء الذي هو ثمن الإبل وغير الإبل أحق بالصون"، فالحجاج في هذه الشواهد يأتي من جهة المعاني، وذلك باختيار ألفاظٍ مشحونة بدلالات توقع المتلقي في فخ الاقتناع مثل القبر وضياع الدماء التي تدل في قاموس البخيل على عكس ما تدل عليه في قاموس الطرف الآخر، فإذا كانت تدل على البخل في قاموسهم، فإنها في قاموسه المضاد تطابق إنفاق المال وتضييعه.

كما نجده عمد إلى(المفهوم) في بداية هذا المقطع، الذي قد يُشكِل على المرسل إليه، ويُوقِعُه في مظنَّة أن الرفض مقتصر على خطاب مخاطَب بعينه هو وحده، مما قد يولد عنده ردة فعلٍ ترفض تأمل حجج المرسل، وتُقصِي فرصة التواصل معه، وتغلق نافذة الاطلاع على ما في ساحة المرسل من حجج من جهة، وتصرف نظر من يصله هذا الاحتجاج من الموضوع إلى الذات الأخرى (أبو العاص)، ويغفل الموضوع الذي يقصده ابن التوأم في حجاجه هنا من جهة أخرى.

فبَيَّن أن كلامه ليس موجها لأبي العاص وحده، وليس مقصورًا عليه وحده، بل هو أبعد من ذلك، فهو خطابٌ متعدٍ، يتعدى الذات المقابلة إلى الذوات التي تشترك معه في الرؤية الخاطئة؛ لتصل إلى الموضوع الأكثر أهمية في نظر المتكلم (البخل)، فقال: "فإن قلنا فليس إليك نقصد، وإن احتججنا فلسنا عليه نرد، ولكنا إليك نقصد بالقول، وإليك نريد المشورة".

وينتقل من المفهوم العام للخطاب وجهته إلى مفهوم خاص داخل المفهوم العام، فمفهوم (الذهب والفضة) عنده مختلف عما تعارف عليه الناس من أنهما حَجَران صامتان يسهل السيطرة عليهما وإخفاؤهما، فهما أشد فضحًا وفتنة فيقول: "ولا تغتر بقولهم: مال صامت، فإنه أنطق من كل خطيب وأنمّ من كل نمَّام، فلا تكترث بقولهم: هذين الحَجَرين"؛ وذلك لأن الحكم على الشيء فرعٌ من تصوره، والمفهوم المغلوط عند خصوم ابن التوأم عن الذهب والفضة، وسكونهما، وجمود حركتهما يجعل حكمهم عليها بسهولة ممارسة السلطة عليها حكمًا مغلوطًا، ويحتم على ابن التوأم تصحيحه.

وحتى يصل ابن التوأم إلى إثبات صحة موقفه من المال، ويدحض أطروحة مخالفيه نلحظه اعتمد مؤشرات تنظيمية منطقية: تبدأ باستدلال عقلي عبر المقدمة التي انطلق منها للاستدلال على أهمية المال وضرورة المحافظة عليه: (سواء ذهاب نفسك وذهاب ما به يكون قوام نفسك)، ثم الاستقراء من خلال شعر القدماء ومقولاتهم التي تتحول لأمثال وحكم، وما يصاحب ذلك من تعليل وتفسير واستشهاد ومقارنة؛ ليصل إلى نتيجة مفادها أن (القبر خير لك من الفقر، والسجن خير لك من الذل) الذي ينتج عن الإسراف الذي يدعو إليه خصومه.

كما تحضر المحاجة بالأخلاق العامة والاحتجاج العقلي وذلك حين "يدَّعي الفرد لزوم وقوع حدثٍ ما، كنتيجة لحدثٍ آخر دون أن يدلل على ذلك بحججٍ مقبولة"[28]، فيقول مثلًا: "فلا تكترث بقولهم إن هذين الحَجَرين، وتتوهم جهودهما وسكونهما وقلة ظعنهما وطول إقامتهما، فإن عملهما وهما ساكنان، ونقضهما للطبائع وهما ثابتان أكثر من صنع السم الناقع..."، فيعمد إلى المقارنة بين هذا المال، وما يُصلِح هذا المال، ولما كانت قيمة النفس عظيمة، ولا يختلف العقلاء على قيمتها العظيمة، وأن حفظ النفس من أعظم الأمور وأهمها، فإن حفظ المال الذي به تحفظ هذه النفوس مهم يعادل حفظ النفس أو أكثر، وحفظ الذي به تصلح الأمور من أعظم الأمور، ولهذا قالوا في الإبل: "لو لم يكن فيها إلا أنها رقوء الدم"، فالشيء الذي هو ثمن الإبل وغير الإبل (المال) أحق بالصون، وقد قضوا بأن حفظ المال أشد من جمعه، واستشهاده على سرعة تفرق الدراهم بقوله: (ولذلك قال مشتري الأرض لبائعها، حين قال له البائع: دفعتها إليك بطيئة الاجتماع، سريعة التفرق)، فكان لا بد –والحال هذه- من الحفاظ على المال وعدم إنفاقه منذ البداية، وهذه المحاججة على مستوى الفعل.

كما يستعين في بعض حججه بطريقة (العصفورة)، أو (نعم، ولكن): فبالرغم "من أن لكن هي من أدوات تنسيق الخطاب، إلا أن لها وظيفةً تداولية مختلفة، وهو أنها تجعل للوحدة التي تليها فعلًا مضادًا، ولأن هذا الدور مؤسس على معناها المضاد، فإن مدى استعمالها الضمني أضيق من مدى الواو[...] إذ لا تنسق (لكن) بين الوحدات الوظيفية إلا إذا كان هناك بعض من العلاقات المتضادة في محتواها الذهني أو التفاعلي"[(29)].

تحضر هذه الوسيلة في الاستدراك في خطاب ابن التوأم؛ لكسب بعض التقارب مع الخصوم، واستدراجه إلى المنطقة التي يريد أن يوقعه فيها، مثل قوله: (ولكنا إليك نقصد بالقول، وإليك نريد المشورة)، فهو يتفق مع المتَّهِم في مقدمته التي يفترض فيها أن هذا الخطاب خطاب حجاجي، يسوقه المتلفظ لمواجهة خصم ما، لكنه يستدرك عليه أن يكون المعني بذلك هو الخصم المباشر، بل يحاول كسب المخاطب وتجييره في خندقه بإلباسه حلَّة الحكمة والمشورة، بينما هو في الحقيقة مقصود أيضًا بالخطاب الحجاجي هذا، وكذلك قوله: (مال صامت فإنه أنطق من كل خطيب...)، يصحح للمخاطب حكمه بطريقة لا تثير سخطه، وتنفره من المتكلم منذ بداية العملية الحجاجية.

2- الاحتجاج بالشواهد: أي الأمثلة من أمثال وأقوال العرب وشعرهم، "وهي حجج جاهزة تكتسب قوتها من مصدرها ومن مصادقة الناس عليها وتواترها" [(30)]؛ فتكون الغاية من اعتمادها حجاجيًا هي التأسيس للقاعدة، والبرهنة على صحتها[(31)]؛ وذلك لما لها من قوة إقناعية تصل إلى درجة المسلمات في الذاكرة الجمعية للمخاطبين، وهو بذلك يتمترس بالذاكرة الجمعية لمواجهة تعددية الخصوم، ويجعل منها درجة في سلم الحجاج الذي يهدف منه ابن التوأم إلى الوصول إلى سقف إقناع المنتقدين لدهائه وحكمته وبعد نظره الذي يقصر عنه نظرهم، فنجده قدمها في هذا النص على كلامه وحججه، لتقويّها وتسهل الإقناع بها؛ "لأن من خصائص المثل أن له طابعًا إقناعيًا برهانيًا: لأنه يُساق للإقناع، ويَرِدُ حجةً ودليلًا على صدق مساقه، وصحة دعواه"[(32)]، وذلك نحو استعانته بالمثل في قوله: "وقد قالوا: (احفظ سرك فإن سرك من دمك)"، واستدعائه للمقولات الحكيمة التي تصل إلى درجة الثوابت، وذلك في قوله: "قال المُنجَاب العنبري: ليس كبير ما أصلحه ماله"، وقوله: "ولهذا قالوا في الإبل: لو لم يكن فيها إلا أنها رقوء الدم".

وينتقل من الأمثال والمقولات المشهورة التي لا يملك أمامها العقل الجمعي المُقِرُّ بقيمتها العالية إلا التسليم والموافقة، فيستدعي الشعر العربي ذا القيمة العالية في الثقافة العربية والوعي

العربي الذي يرى في الشاعر شخصيةً مثالية تحمل قيم الحكمة والفصاحة والسيادة، والمدافع عن القيم العربية العريقة، فيكون بذلك "النص الشعري، ليس لعبًا بالألفاظ فقط، وليس نقل تجربة فردية فحسب، إنه يهدف إلى الحث والتحريض والإقناع والحجاج. وهو يسعى إلى تغيير أفكار المتلقي ومعتقداته، وإلى دفعه إلى تغيير وضعيته، وسلوكه ومواقفه"[33]، ومن ذلك استشهاده بقول الشاعر:

وحفظك مالًا قد عنيت بجمعه أشد من الجمع الذي أنت طالبه

فنجده في هذا الجزء من النص اعتمد على الشواهد والأمثلة والأقوال المتوارثة أكثر من غيرها من أساليب الحجاج؛ فهي أقوال منقولة من غير طرفي الخطاب، وقوتها الحجاجية في سندها، وبذلك ينشغل طرفا الخطاب بالنظر إلى سندها دون النظر في بنيتها أو قصد مرسلها، إذ تكتسب قوتها من قوة مصدرها[34]؛ لتأكيد أطروحته في البخل وفق استراتيجيات الإثبات، ومن ثَمَّ دحض أطروحة أبي العاص في وجوب الإنفاق وصرف المال؛ لما لهذه الشواهد والأمثلة التي أنتجتها تجارب العرب السابقة في الحياة من سلطة على القناعات والأحكام في الثقافة العربية عامة، وعند المتلقي لهذا النص خاصة، وذلك بتوظيف المشترك الفكري مع المخاطب الذي يقاسمه المواقف والقناعات نفسها، ويستحضره في موقف التلفظ؛ ليعضد رده، ويقوي موقفه الذي يؤسس له بإعمال هذه النماذج اللفظية الجاهزة؛ فينشغل المتلقي عن النظر في بنية الخطاب وقصديته.

3- الأساليب اللغوية والبلاغية: وهذه الأساليب والأدوات اللغوية والبلاغية تخرج عن دلالتها التركيبية والبيانية، إلى أغراضٍ حجاجية؛ إذا تقصَّد المتلفظ اختيارها وتوظيفها لما يفي بقصده، ويحقق هدفه الإقناعي، بما يتناسب مع السياق، ومنها في هذ النص مشيرات التلفظ: كالضمائر التي يوظف منها ضمير المتكلم بصيغة الجماعة عند دفاعه عن أطروحته: (قلنا، احتججنا، لكنا...) في مقابل توظيف ضمير المخاطب والغائب: (إليه، إليك، قالوا، نفسك، قال...)؛ وذلك لما يعطيه ضمير الجماعة من مؤشر ظاهري (لفظي) على صواب مسلك المُحاجِج، وكثرة أتباعه، وتصغير الموقف المضاد المعتقد بخطأ الاعتقاد الذي يتبعه السواد الأعظم من العقلاء، وهي من الأساليب اللغوية التي يستعملها المرسل في السلم الحجاجي "بأن يجعل ذاته في أعلى مرتبة، فيهمش ما عداه لحظة التلفظ. مع أنه لا يعين من هو دونه بالتحديد، إما بالتلفظ بالأنا/نحن لوحدها. أو باستعمال بعض الكلمات التي تشير إلى مرجع غير معين مثل: آخر، الكل، غيرنا... إلخ. ولهذا فوائده، منها أنه لا يقع تحت طائلة

المساءلة، لأنه لم يكن خطابه ضد أحد معين، وبهذا يتعلق المرسل بشكل الخطاب، ويصدقه دون أن يتقصى دلالته"[35].

ومن ذلك قوله: (ولكنا وجدنا ضَعفَه عن ضبطه، بقدر قَلَقِه في يده، ولا تَغتَرَّ بقولهم: مالٌ صامتٌ، فإنه أَنطَقُ من كُلِّ خطيب، وأَنَمّ من كُلِّ نَمَّام، ولا تكترث بقولهم: هذين الحَجَرين، وتتوهم جمودهما)، ففي الوقت الذي نجد خطابه يوظف ضمير الجماعة لتمرير قناعته، يكون خطابه غير موجهٍ إلى أحدٍ معين، وهذا يجعل المتلقي ينشغل بشكل الخطاب المرسل دون أن يدقق في دلالته المغالطة؛ لأن هذه المشيرات تولد لديه ثقةً في صحة الخطاب.

وتتعاضد المؤشرات التلفظية؛ لإثبات حجة ابن التوأم التي ينقض بها مقولة أبي العاص ليقيم على أنقاضها تلك القناعة التي يسعى إلى تأسيسها وإشاعتها في العقل الجمعي للمجتمع الذي يعارضها، ومن ذلك الشرط في قوله:(فلو كان، فإن سكنت، لا تحتال فيه حتى تحتال له)؛ لأن فعل الشرط المستَبق شرط لجواب الشرط المنتظر، وتقوم هذه الحجة "على التماس صدق الفكرة أو كذبها من مجرد النتائج المترتبة عليها، فإن كانت النتائج إيجابية تم قبول الفكرة، وإن كانت سلبية تم رفضها واعتبارها كاذبة"[36]، ومن ذلك قوله: (فإن سَكَنَت لا تكتفي بصُنعِه حتى تَفقِدَه، ولا تحتال فيه حتى تحتال له، فالقبر خيرٌ لك من الفقر، والسجن خيرٌ لك من الذل) حيث جعل ابن التوأم جواب الشرط هو النتيجة التي ينتهي إليها فقد المال والاحتيال للحصول عليه، وحينئذٍ يكون القبر والسجن نتائج سلبية تقنع برفض فكرة الكرم الذي هو عند إتلافٌ للمال.

وكذلك يحضر التوكيد في هذا المقام التواصلي؛ لما للتوكيد من دلالات على ثقة صاحب الحجة فيما يطرح، ومعرفته بدور هذا الشكل اللفظي في إثبات حجته ودحض حجة خصومه، باستخدام أدواته التلفظية نحو: (إن، قد، أحق...)، فيلقي الخبر هنا إلى المرسل إليه مؤكدًا له أنه ليس لديه وقت التلفظ بالخطاب شك، وهذا يحفز المرسل إليه إلى المبادرة إلى تصديق خطابه[37]، فحين يقول ابن التوأم: (فإن عملهما وهما ساكنان، ونَقضهما للطِّبَاع وهما ثابتان، أكثرُ من صنيع السُمِّ الناقِع والسَّبع العادي)، فإنه يلقي الخبر بمؤكد يحاول إقناعه بهذا المؤكد؛ لأنه ليس خالي الذهن من الموقف من البخل وصاحبه، فهو هنا ينشئ ردًا على خبر سابق وهو ما أخبر به الثقفي عن البخل والبخلاء، فكان من البلاغة الحجاجية أن يوظف التوكيد بـ(إنَّ).

كما حضر النفي؛ لما يضطلع به النفي من تصحيح لمغلوط قد يُتوهم من ظاهر الخطاب، وقد يلتبس على المتلقي، ومن ثَمَّ ينحرف بالسلم الحجاجي عن جهته المقصودة، وذلك مثل: (لسنا عليه نرد، ليس بكبير، لا تغتر...)، ومنها قوله: (ولا تكترث بقولهم: هذين الحَجَرين، وتتوهم جمودهما، وسكونهما، وقِلَّة ظعنهما، وطول إقامتهما)، فهو يحاول محو قناعة سابقة يفترض المتلفظ وجودها في ذهن المتلقي، ولكي يؤسس لفكرته التي يحاجج عنها لا بد من أن يزيل القناعة المضادة التي ترى أن الذهب والفضة مجرد أدوات للعيش، والغاية من الحصول عليها إنفاقها، وينفي صحتها، وأنها مقولة قد تغرر بالسامع لها.

وتحضر كذلك الأساليب البلاغية في ملفوظات ابن التوأم؛ لأن "الصور البلاغية وتقنياتها تستدعيها عملية أسلوبية تنشط الخطاب، ولها وضعية إقناعية"[38] ومنها الطباق، نحو: (بطيئة - سريعة، صامت - أنطق، سكونها – عملها)، ومنها قوله: (ولذلك قال مشتري الأرض لبائعها، حين قال له البائع: "دفعتها إليك بطيئة الاجتماع، سريعة التفرق")؛ وذلك لإظهار التفاوت البيّن بين الرأيين: رأيه الصحيح، وفلسفته فيما يُنتَقَد عليه، ورأي خصومه الذين لا يتفكرون في عواقب الإنفاق الوخيمة، وفضائل الإمساك الجليلة.

ويحضر أسلوب التفضيل، ويتجلى دوره في أنه يمكن من ترتيب الأشياء ترتيبًا معينًا، فبدون استعماله ما كان لها أن تترتب، ولذلك يصنفه (بيرلمان) في حجاج التعدية، ويعد مجرد تلفظ المرسل بالحجة من أسباب تصنيفها في أعلى السلم، وذلك لأنه اختارها دون غيرها[39].

ويوظف أسلوب التفضيل في هذا الخطاب؛ لتهويل الموقف وتشنيع عواقب الإنفاق وذلك نحو قوله: (فقد الشيء الذي به تصلح الأمور أعظم من الأمور)، وقوله:(الشيء الذي هو ثمن الإبل وغير الإبل أحق بالصون)، وقوله: (فإنه أنطق من خطيب) وغيرها من الصيغ التي تظهر عظمة المال من جهة، وتكشف عن حكمة من يحسن حفظه وادخاره من جهة، وجهل من يقول بإتلافه من جهة مقابلة.

ويحضر التشبيه معاضدًا للحجج التي يطرحها ابن التوأم لما للتشبيه من بعد بياني؛ لأن " مما اتفق العقلاء عليه أن التمثيل إذا جاء في أعقاب المعاني أو برزت هي باختصار في معرضه، ونقلت عن صورها الأصلية إلى صورته، كساها أبهة [...] فإن كان مدحًا كان أبهى وأفخم [...] وإن كان حجاجًا كان

برهانه أنور، وسلطانه أقهر، وبيانه أبهر"[40]؛ فهو يجسد غير المحسوس في صورة الملموس والمستقبل في صورة الحاضر، ذلك لأن من أهم أركان التشبيه وجه الشبه بين المشبه والمشبه به، مثل قوله:(سواء ذهاب نفسك، وذهاب ما به يكون قوام نفسك)، وتصويره للدرهم موضوع الحجاج بقوله:(الدرهم هو القطب الذي تدور عليه رحا الدنيا)، ورسم الصورة المخيفة للذهب والفضة، وأثرهما في النفس البشرية حين قال:(نقضهما للطبائع وهما ثابتان أكثر من صنيع السم الناقع)، فهو بهذا التشبيه يقصد إلى تغيير الموقف العاطفي للمتلقي باستخدام تشبيه النقض الذي تحدثه الدراهم في طباع من يملكها بالصورة المحسوسة والموحشة للسم الناقع، وهذا يربك قناعات المتلقي المجردة، ويورطه في الوقوع في الاقتناع بالخطاب الذي يمرر عليه قناعته بهذا البيان.

ويتكئ ابن التوأم على مُعجمين متقابلين من الكلمات، والمقصود بالكلمة هنا الكلمة بتعريفها الحجاجي وهو أنها: "الوحدة المعجمية -الصرفية- الإعرابية معًا القابلة لأن تكتسب بالإضافة إلى معناها المعجمي سمات دلالية إضافية من خلال علاقتها بالمقال الذي ترد فيه وبالمقام الذي تستعمل فيه، وهي قادرة في الوقت نفسه على التأثير في ذلك المقال والمقام بفضل ما لها من قيم دلالية مختلفة بعضها مستمد من اللغة نفسها وبعضها متأت من الاستعمال والتداول"[41].

فيعمد إلى ما يدل على المنفعة والصحة والحكمة فيما يعبر عن موقفه من المال، وما يدل على الضرر والخطأ والجهل فيما يعبر به عن موقف مخالفيه، فنجد عند حافظ المال: (نريد المشورة، تصلح بها الأمور، الدرهم، القطب، سليم، صحيح العقل، سليم الجوارح...) وفي المقابل نجد منفق المال:(ذهاب ما به يكون قوام النفس، سُكر الغني، ضعفه عن ضبطه، القبر، الفقر...).

النتائج:

يظهر مما سبق أن قراءة النص التراثي بالمناهج النقدية الحديثة تنتج قراءات جديدة، وتكشف عن جوانب لم تكشف من قبل، وتؤكد في الآن ذاته أن النصوص التراثية لا تزال مواطن خصبة يمكن استنطاقها ومحاورتها بالمناهج النقدية الحديثة.

وأن أسلوب الحجاج في هذا النص -حسب تقسيم طه عبدالرحمن- من الحجاج التوجيهي؛ لأنه اهتم بالمخاطِب الذي سعى بكل طريقة حجاجية ممكنة إلى إثبات رأيه، ولم يراع تأثير ذلك على الطرف المقابل؛ فحاول منذ البداية تغييب وجوده بالفعل، وجعل منه موجودًا بالقوة فقط؛ لجعل

الحجاج منطقيًا، كما أننا لم نلحظ أي انشغال من المخاطِب بتلقي المخاطَب، فوجدناه يجعل عنايته الكاملة لمقصوده، وأفعاله المصاحبة لأقواله الخاصة [42]، والسعي لإثباتها بكل طريقة ممكنة وبتنوعٍ يجعل منها حججًا لا يملك المتلقي –أول تلقيه لها- أمام تتابعها وتواترها إلا التسليم والانصياع، فلم يورد حجة واحدة لخصومه، لا عقلًا ولا شعرًا ولا نثرًا، في ثنائية حضور/غياب غير متكافئة، حضور للأنا المحتجة في كامل أجزاء الخطاب، وغياب لـ(هو) المحتج عليها عن كامل أجزاء الخطاب، ما يقتضي:

- أحادية وجهة النظر تجاه الموضوع المختلف فيه.
- التفرد بالخطاب وتسييره إلى المناطق التي تخدم وتؤيد مقولته.
- تهميش عقلية المتلقي ومحاولة كبت تساؤلاته وحججه.
- حرية المحتج الكاملة في مقابل إلغاء حضور الطرف المقابل.

لكنه ما إن ينعم النظر فيها حتى يتنبه إلى أن هذا النوع من الحجاج ليس ضعفًا في أسلوب الجاحظ، لكنه يؤكد أنه في كتابه البخلاء قد ألح على مفارقة "اقتران المعرفة والغباء وأبدى وأعاد في تقليب وجوه اقتران المعرفة والغباء عند فئة من المجتمع جديرة بالدراسة. أما الجواب فجاء ضمنيًا خلال الكتاب، وخلاصته أن ملكات البخيل تابعة لهواه، فهو يسمع ويرى ما يتلاءم مع رغباته ويصيبه الصمم والعمى عما سوى ذلك"[43]، فالجاحظ في كتابه هذا يكتب من وجهة نظر البطل/ البخيل وقناعاته، وليس من موقع المؤلف/الجاحظ الذي يتضح من طريقته في إيراد هذا الخبر أنه يدرك خطأ الفكرة، ومحاولات البخلاء مغالطة المجتمع بتوسل أساليب حجاجية متنوعة ومخادعة لمن لا يدقق في مضامينها، وهذا من الأساليب الأدبية المميزة لكتابات الجاحظ التي ارتقت بمثل هذه الظاهرة المرفوضة في الثقافة العربية التي يدافع عنها إلى مراقي الفن والأدبية.

الهوامش والإحالات

(1) الربيعي، تاريخ المعتزلة: 118.

(2) العمد، صورة البصرة في بخلاء الجاحظ: 41.

(3) ابن منظور، لسان العرب: 228.

(4) ابن فارس، مقاييس اللغة: 30/2.

(5) شاردو، الحجاج بين النظرية والأسلوب: صفحة الغلاف.

(6) نفسها، الصفحة نفسها.

(7) صولة، الحجاج: 9.

(8) علوي، الحجاج: 3/1.

(9) نفسه: 76.

(10) شارودو، الحجاج بين النظرية والأسلوب: 16

(11) ينظر: علوي، الحجاج مفهومه ومجالاته: 76/1.

(12) ينظر: طوروس، النظرية الحجاجية: 176،166.

(13) نفسه، الصفحة نفسها.

(14) علوي، الحجاج مفهومه ومجالاته: 272/1.

(15) شارودو، الحجاج بين النظرية والأسلوب: 75.

(16) نفسه: 226.

(17) نفسه، الصفحة نفسها.

(18) نفسه: 228.

(19) ينظر: نفسه: 75-99.

(20) علوي، الحجاج مفهومه ومجالاته: 20/1.

(21) حمودة، المرايا المقعرة: 13.

(22) الجاحظ الكناني هو أبو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب بن فزارة الليثي الكناني البصري (159هـ -255هـ) كان من كبار أدباء العصر العباسي، عمّر الجاحظ نحو تسعين عامًا، وترك كتبًا كثيرة منها البيان والتبيين، وكتاب الحيوان، والبخلاء. موقع ويكيبيديا، متاح على الرابط:
https://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%A7%D9%84%D8%AC%D8%A7%D8%AD%D8%B8

(23) رقوء الدم: رقا الدم: جف وانقطع. وكأن الإبل تفتدي المتقاتلين حين كان يتم التصالح بين القبائل على عدد منها كثير أو قليل، قال أكثم بن صيفي: لا تسبوا الإبل فإن فيها رقوء الدم أي: أنها تعطى في الديات فتحقن الدماء، ابن منظور، لسان العرب: 88.

(24) نَزَوَان الدرهم: النَزو: يقال: نزوت على الشئ أنزو نزوا إذا وثبت عليه، قال ابن الأثير: وقد يكون في الأجسام والمعاني، ابن منظور، لسان العرب: 319.

(25) - الجاحظ، البخلاء: 171-174.

(26) ينظر: بو مزبر، التواصل اللساني والشعرية: 40.

(27) برهومة، مقاربات في الحجاج والخطاب: 102، 103.

(28) الراضي، الحجاج والمغالطة: 44.

(29) الشهري، إستراتيجيات الخطاب: 299/1.

(30) العمري، في بلاغة الخطاب الإقناعي: 65.

(31) ينظر: الحبابشة، التداولية والحجاج: 49.

(32) العروي، من قضايا النقد القديم: 60.

(33) نفسه: 62.

(34) ينظر: الشهري، إستراتيجيات الخطاب: 338/2.

(35) نفسه: 325.

(36) الراضي، الحجاج والمغالطة: 26.

(37) ينظر: الشهري، إستراتيجيات الخطاب: 313/2.

(38) أعراب، الحجاج والاستدلال الحجاجي: 110.

(39) ينظر: الشهري، إستراتيجيات الخطاب: 317/2، 318.

(40) الجرجاني، أسرار البلاغة: 118، 119.

(41) ينظر: صولة، الحجاج في القرآن: 68.

(42) ينظر: عبدالرحمن، اللسان والميزان: 228.

37 العمري، البلاغة الجديدة: 127.

قائمة المصادروالمراجع:

1) الجاحظ، البخلاء، تحقيق: طه الحاجري، دار المعارف، مصر، د.ت.
2) أبن فارس، أحمد بن فارس بن زكريا، مقاييس اللغة، دار الجيل، بيروت، 1991م.
3) علوي، حافظ إسماعيل، الحجاج مفهومه ومجالاته، عالم الكتب الحديث، الأردن، 2010م.
4) ابن فارس، أحمد بن زكريا، مقاييس اللغة، دار الجيل، بيروت، 1991م.
5) أعراب، حبيب، الحجاج والاستدلال الحجاجي، مجلة عالم الفكر، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ع1، 2011م.
6) الراضي، رشيد، الحجاج والمغالطة، دار الكتاب الجديد، لبنان، 2010م.
7) الحبابشة، صابر، التداولية والحجاج، صفحات للدراسة والنشر، دمشق، 2008م.
8) بو مزبر، الطاهر، التواصل اللساني والشعرية، مقاربة تحليلية لنظرية رومان جاكبسون، منشورات الاختلاف، الجزائر، 2007م.
9) عبد الرحمن، طه، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، المركز الثقافي العربي، المغرب، 2006م.

10) حمودة، عبد العزيز، المرايا المقعرة نحو نظرية نقدية عربية، سلسلة عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 2011م.
11) الجرجاني، عبد القاهر، أسرار البلاغة، دار الجيل، بيروت، 1991م.
12) صولة، عبد الله، الحجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبية، دار الفارابي، بيروت، 2007م.
13) الشهري، عبد الهادي بن ظافر، إستراتيجيات الخطاب، مقاربة لغوية تداولية، كنوز المعرفة للنشر والتوزيع، عمان، 2015م.
14) برهومة، عيسى، مقاربات في الحجاج والخطاب، رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة، 2021م.
15) الربيعي، فالح، تاريخ المعتزلة فكرهم وعقائدهم دراسة في إسهامات المعتزلة في الأدب العربي، الدار الثقافية للنشر، القاهرة، 2011م.
16) ابن منظور، جمال الدين محمد بن مكرم، لسان العرب، دار صادر، بيروت، 1300هـ.
17) العروي، محمد إقبال، من قضايا النقد القديم - الحكمة والمثل، مجلة آفاق الثقافة والتراث، الإمارات العربية المتحدة، ع34، 1991م.
18) العمري، محمد، في بلاغة الخطاب الإقناعي، دار الثقافة، الدار البيضاء، 1986م.
19) العمري، محمد، البلاغة الجديدة بين التخييل والتداول، أفريقيا الشرق، الدار البيضاء، 2005م.
20) طوروس، محمد، النظرية الحجاجية من خلال الدراسات البلاغية والمنطقية واللسانية، دار الثقافة مؤسسة للنشر والتوزيع، الدار البيضاء، 2005م.
21) العمد، هاني، صورة البصرة في بخلاء الجاحظ، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، 1990م.

Arabic References

1) al-Ǧāḥiẓ, al-Buḫalāʾ, ed: Ṭaha al-Ḥāǧirī, Dār al-Maʿārif, Miṣr, N. D.
2) ibn Fāris, ʾAḥmad ibn Fāris ibn Zakarīyā, Maqāyīs al-Luġah, Dār al-Ǧīl, Bayrūt, 1991.
3) ʿAlawī, Ḥāfiẓ ʾIsmāʿīl, al-Ḥaǧǧāǧ Mafhūmuhu & Maǧālātuhu, ʿĀlam al-Kutub al-Ḥadīṯ, al-ʾUrdun, 2010.
4) ibn Fāris, ʾAḥmad ibn Zakarīyā, Maqāyīs al-Luġah, Dār al-Ǧīl, Bayrūt, 1991.
5) ʾAʿrāb, Ḥabīb, al-Ḥaǧǧāǧ & al-Īstidlāl al-Ḥaǧǧāǧī, Maǧallat ʿĀlam Fikr, al-Maǧlis al-Waṭanī lil-Ṯaqāfah & al-Funūn & al-Ādāb, al-Kuwait, ʿ1, 2011.
6) al-Rāḍī, Rašīd, al-Ḥaǧǧāǧ & al-Muġālaṭah, Dār al-Kitāb al-Ǧadīd, Lubnān, 2010.
7) al-Ḥabāšah, Ṣābir, al-Tadāwulīyah & al-Ḥiǧāǧ, Ṣafaḥāt lil-dirāsah & al-Našr, Dimašq, 2008.
8) Bū Muzbir, al-Ṭāhir, al-Tawāṣul al-Lisānī & al-Šiʿrīyah, Muqārabah taḥlīlīyah li-Naẓarīyat Roman Jakobson, Manšūrāt al-Iḫtilāf, al-Ǧazāʾir, 2007.

9) ʿAbdalraḥmān, Ṭaha, al-Lisān & al-Mīzān aw al-Takawṯur al-ʿAqlī, al-Markaz al-Ṯaqāfī al-ʿArabī, al-Maġrib, 2006.
10) Ḥammūdah, ʿAbdalʿazīz, al-Marāyā al-Muqʿarah Naḥwa Naẓarīyat naqdīyah ʿArabīyah, Silsilat ʿĀlam al-Maʿrifah, al-Mağlis al-Waṭanī lil-Ṯaqāfah & al-Funūn & al-Ādāb, al-Kuwait, 2011.
11) al-Ǧurǧānī, ʿAbdalqāhir, ʾAsrār al-Balāġah, Dār al-Ǧīl, Bayrūt, 1991.
12) Ṣūlah, ʿAbdallāh, al-Ḥağğāğ fī al-Qurʾān min Ḫilāl ʾAhamm Ḫaṣāʾiṣuhu al-ʾUslūbīyah, Dār al-Fārābī, Bayrūt, 2007.
13) al-Šahrī, ʿAbdalhādī ibn Ẓāfir, ʾIstirātīğīyāt al-Ḫiṭāb, Muqārabah Luġawīyah Tadāwulīyah, Kunūz al-Maʿrifah lil-Našr & al-Tawzīʿ, ʿAmmān, 2015.
14) Barhūmah, ʿĪsá, Muqārabāt fī al-Ḥağğāğ & al-Ḫiṭāb, Rūʾyah lil-Našr & al-Tawzīʿ, al-Qāhirah, 2021.
15) al-Rubayʿī, Fāliḥ, Tārīḫ al-Muʿtazilah Fikruhum & ʿAqāʾiduhum Dirāsah fī ʾIshāmāt al-Muʿtazilah fī al-ʾAdab al-ʿArabī, al-Dār al-Ṯaqāfīyah lil-Našr, al-Qāhirah, 2011.
16) ibn Manẓūr, Ǧamāl al-Dīn Muḥammad ibn Mukarram, Lisān al-ʿArab, Dār Ṣādir, Bayrūt, 1300.
17) al-ʿArawī, Muḥammad ʾIqbāl, min Qaḍāyā al-Naqd al-Qadīm-al-Ḥikmah & al-Maṯal, Mağallat Āfāq al-Ṯaqāfah & al-Turāṯ, al-ʾImārāt al-ʿArabīyah al-Muttaḥidah, I 34, 1991.
18) al-ʿUmarī, Muḥammad, fī Balāġat al-Ḫiṭāb al-ʾIqnāʿī, Dār al-Ṯaqāfah, al-Dār al-Bayḍāʾ, 1986.
19) al-ʿUmarī, Muḥammad, al-Balāġah al-Ǧadīdah bayna al-Taḫyīl & al-Tadawul, ʾAfrīqiyā al-Šarq, al-Dār al-Bayḍāʾ, 2005.
20) Ṭūrūs, Muḥammad, al-naẓarīyah al-Ḥiğāğīyah min Ḫilāl al-Dirāsāt al-Balāġīyah & al-Manṭiqīyah & al-Lisānīyah, Dār al-Ṯaqāfah Mūʾassasat lil-Našr & al-Tawzīʿ, al-Dār al-Bayḍāʾ, 2005.
21) al-ʿAmad, Hānī, Ṣūrat al-Baṣrah fī Buḥalāʾ al-Ǧāḥiẓ, Dār al-Šuʾūn al-Ṯaqāfīyah al-ʿĀmmah, Baġdād, 1990.